

أضواء البيان

@ 417 @ .

وأما الذكر فإنه لا ينشأ في الحلية ، لأن كمال ذكوره وشرفها وقوتها الطبيعية التي لا تحتاج معه إلى التزين بالحلية التي تحتاج إليه الأنثى ، لكمالها بذكوره ونقصها بأنوثتها . .

ومما لا نزاع فيه بين العقلاء أن الذكر والأنثى إذا تعاشرا المعاشرة البشرية الطبيعية التي لا بقاء للبشر دونها ، فإن المرأة تتأثر بذلك تأثراً طبعياً كونياً قديراً مانعاً لها من مزاوله الأعمال كالحمل والنفاس وما ينشأ عن ذلك من الضعف والمرض والألم . . بخلاف الرجل فإنه لا يتأثر بشيء من ذلك ، ومع هذه الفوارق لا يتجرأ على القول بمساواتهما في جميع الميادين إلا مكابر في المحسوس ، فلا يدعو إلى المساواة بينهما إلا من أعمى بصيرته . .

وقد قدمنا في الموضعين اللذين أشرنا لهما من هذا الكتاب المبارك ما يكفي المنصف ، فأغنى عن إعادته هنا . قوله تعالى : { وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا } . لما كان قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّنا خَلَقَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى } يدل على استواء الناس في الأصل ، لأن أباهم واحد وأُمهم واحدة وكان في ذلك أكبر زاجر عن التفاخر بالأنساب وتناول بعض الناس على بعض ، بين تعالى أنه جعلهم شعوباً وقبائل لأجل أن يتعارفوا أي يعرف بعضهم بعضاً ، ويتميز بعضهم عن بعض لا لأجل أن يفتخر بعضهم على بعض ويتناول عليه . .

وذلك يدل على أن كون بعضهم أفضل من بعض وأكرم منه إنما يكون بسبب آخر غير الأنساب . . وقد بيننا ذلك هنا بقوله : { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ كُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُكُمْ } فاتضح من هذا أن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل ، ولقد صدق من قال : { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ كُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُكُمْ } فاتضح من هذا أن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل ، ولقد صدق من قال : % (فقد رفع الإسلام سلمان فارس % وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب) % .

وقد ذكروا أن سلمان رضي الله عنه كان يقول :